استهلال
تخيلوا حياتكم من جديد!

من الأساطير الجميلة في طفولتنا تلك القصص التي تتحقق فيها الأحلام والأمنيات، وفي خيالاتنا تخرج حورية أو عفريت أو ملاك أو أي كائن آخر طيب ومحبب إلينا.

ويسألنا عن أمنياتنا، وبواسطة سحر عجيب رائع نتخلص من همومنا إلى الأبد، ونعيش في بلد الأحلام سعداء حتى نهاية كل الأيام، ولا نحتاج سوى للتفكير في مثل هذه الأساطير والقصص من طفولتنا، حتى يعود الدفء إلى قلوبنا، إنها ليست مجرد ذكريات من تلك المرحلة، عندما كانت حياتنا ما تزال مغلفة بالأمنيات، بل إن أشواقنا وأمنياتنا السرية تعلن عن نفسها من جديد. كم هو جميل لو أن معجزة تحقق الأمنيات تحدث في الحياة الحقيقية وليس في الأساطير فقط.

بيد أن العقل يدافع بكل قوة، ويتصدى لمثل هذه «التخيلات غير العقلانية»: هذه مجرد تهيؤات الطفولة، وشعوذة وأحلام وقصور في الهواء، ولا سبيل لفعل شيء، والمرء لا يتلقى في الحياة شيئاً كهدية، فمن جدَّ وجد.» (وما إلى ذلك من قناعات أخرى للعقل).

ولكن ماذا لو أننا ضيَّقنا الحدود على تخيلاتنا من خلال هذا الموقف للعقل الموجه نحو الوقائع تماماً، بحيث إننا نسلب من حياتنا سحرها بمثل هذا الموقف العقلاني من جانب واحد؟ الواقع هو أننا لم نعد نستطيع أن نرى الحياة بعيني ساحر يستحق الإعجاب أو طفل، وإنما نراها فقط بنظرات خبير في التقنية له حسابات هادئة باردة:

«هل ينجح ذلك أو لا ينجح، وكيف نفعله في أفضل وجه ممكن؟ بيد أن الحياة هي أكثر من مجرد القيام بعمل، وهي غالباً ليست كذلك، هل يحتمل أن الحياة لا تؤدي وظيفتها جذرياً أو لا تؤديها إلا بشكل معتدل، لأنها تفتقر إلى السحر والقلب، والمغامرة غير المحسوبة والمعجزات اليومية؟

سيكون في وسعكم الإجابة عن هذا السؤال بأنفسكم، في نهاية هذا الكتاب بلا أدنى شك، والآن نود الاقتراب ببطء من سر حياة «رائعة» تعاش حقاً بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإذا كنا صادقين مع أنفسنا، فكل فرد يستشعر هذا الشوق داخل نفسه، لكي يهب حياته الخاصة مزيداً من السحر، ويسحر نفسه كما في الأساطير، ويتمكن من صنع المعجزة أو يحصل من كيان الأسطورة على تحقق أمنياته، إنها غالباً تخيلات وأحلام طفولية في الواقع، ولكن ألسنا نبالغ في الحكم على حسناتها وسيئاتها؟ أليست التخيلات التي يلوح أنها تفجر إطار الممكن، مجرد أحلام غير قابلة للتحقيق؟ ثم ألا يوجد بشر حققوا لأنفسهم مثل هذه الحياة الحالمة؟ هذا أمر لا يجوز إنكاره، وهذه وقائع أيضاً.

دعونا الآن نلعب بالأفكار بكل بساطة مثل الأطفال: ماذا يحدث إذا ما أرسلنا عقلنا في إجازة لفترة قصيرة من الزمن (فهو في أية حال مثقل دائماً ويستحق فترة إقصاء) وأطلقنا العنان والمسار الحر لتخيلاتنا بهذه الطريقة دون رقيب.

ثمة أمر واحد مؤكد، إذا أردنا صياغة حياتنا من جديد، فسوف تقف في البداية التخيلات والأحلام والأمنيات: إلى أين ينبغي أن

تؤدي الرحلة في واقع الأمر؟ قد يقدم العقل خدماته في وقت لاحق لدى تحقيق الأحلام، أما الآن فيستطيع أن يخلي المكان!

ماذا سيكون عليه الحال، إذا تمكنا من أن نسحر حياتنا بتزايد مستمر وخطوة إثر خطوة من خلال تخيلاتنا المتحررة؟ ماذا سيكون عليه الحال إذا لم يكن العقل بمفرده يملي علينا حياتنا، وإنما تركنا صولجان التحكم لأمنياتنا وتخيلاتنا؟ سوف ندرك أن العقل سيد بائس، ولكنه خادم عظيم الشأن، إذا استقى توجهه من القلب الذي هو مصدر أشواقنا وتخيلاتنا وأمنياتنا وأحلامنا. إني أدعوكم من جديد لفتح بوابة أحلام حياتكم والدخول من جديد في أرض تخيلاتكم، وسوف نتذكر أيضاً أحلام الطفولة مجدداً، هل لديكم الشجاعة لخلق حياة جديدة في تخيلاتكم، واكتشاف أنفسكم من جديد، كما تتوقون أن تكون عليها، وكما يمكنكم أن تحبوا أنفسكم أيضاً، دعونا نسحر أنفسنا بالقصة التالية، لتحقيق الأمنية وإثارة تخيلاتنا مرة أخرى:

كان في قديم الزمان فلاح، وكان فقيراً جداً، على الرغم من أنه كان يعمل باجتهاد من الصباح حتى المساء، وحتى إنه كان يعمل في الظلام في بعض الأحيان، لإنجاز عمله اليومي.

وفي أحد الأيام، وبينما كان الفلاح يعمل في الحقل ويتصبب عرقاً، لأن الشمس كان محرقة وملتهبة في السماء، فكّر في نفسه: «لايجوز أن تكون الحياة بمثل هذا الشقاء» ، وفجأة وقف أمامه قزم وتحدث إليه: «أنت على حق، إن الحياة أهديت للبشر من أجل السعادة، وبما أنك حركت أمنية في قلبك، لذا أريد أن أدلك على طريق يبين لك كيف تستطيع أن تحقق جميع أمنياتك منذ الآن.»

«عندما تكون لديك أمنية من القلب مرة أخرى، فاكتبها على قطعة من الخشب، وأشعل بها ناراً، وأثناء رقصك حول النار و التفكير في أمنيتك، غني هذه الكلمات: ما أجمل أنها لدي! ما أجمل أنها لدي!

ولن تمر فترة طويلة، وبأسرع مما تظن، تتحقق أمنيتك» قال القزم ذلك واختفى.

لم يستطع الفلاح أن يصدق حقاً، ما عاشه الآن، ولكن بعد عدة أيام، آن الأوان لجمع الضرائب، وينبغي لمحصِّل الضرائب القدوم لتحصيلها، كان كيس نقود الفلاَّح خالياً تقريباً، فما كان من الفلاح إلا أن قام بتجربة ذلك ببساطة.

فكتب على العصا: «كيس مليء بالنقود، وأشعل بها النار ورقص حولها وغنى: ما أجمل أنها لدي - ما أجمل أنها لدي! وانظر. عندما جاء محصل الضرائب، كان كيس الفلاح مليئاً بالنقود بحيث دفع الضريبة وبقي لديه الكثير من النقود. وهكذا اشترى الفلاح لنفسه مزرعة أكبر وشغل لديه العبيد والخادمات، وكلما أصبح الكيس فارغاً، ملأه من جديد، تماماً كما قال له القزم وعاش في ثراء وسعادة حتى نهاية حياته.

أحلام اليقظة:

دعونا نتمعن بهذه القصة القصيرة عن قرب، لأنها تضم حكمة عميقة وأيضاً مفتاح سر هذا الكتاب أخيراً. الفلاح فقير على الرغم من أنه يعمل باجتهاد، ويبدو أن الاجتهاد والعمل الشاق ليسا ضماناً لحسن

الأحوال، والتحرر من الفقر، ولا يمكن أن يكون هناك المزيد من العمل، لأن الفلاح تجاوز حدوده وعمل حتى في الظلام.

في بدء التخيل (الحلم) هناك الأمنية: «لا يجوز للحياة أن تكون شقاء!» والفلاح يرغب في الاستمتاع بالحياة أكثر، وأن يكون لديه المزيد من السعادة، والقزم يعطيه الحق: «الحياة أهديت للبشر من أجل السعادة» وبكلمات أخرى: «إذا كانت الحياة شقاء وليست سعادة، فنحن إذن نفعل أشياء خاطئة، وتعذيب النفس ليس مغزى الحياة، وعندما لا نجد أية بهجة في الحياة، فلن نستطيع أيضاً أن نعيش في النعيم واليسر، لأنه عندما يكون كل شيء في حالة من النعيم، فهذه هي السعادة. دعوني ألخص العبرة الأولى من هذه الأسطورة: الحلم يبدأ عندما نسير في طريق السعادة، والسعادة اليومية أمنية الحياة.

ولكن لنتابع القصة: القزم يساعد الفلاَّح، «لأنك حركت أمنيتك في قلبك» فليس الطمع في الرفاهية أو نزعة التملك هي التي كانت الدافع لدى الفلاح في أمنيته وإنما القلب: أي أن يعيش الحياة من أجل مغزاها حقاً، إن هذا الشوق الصادر عن القلب على درجة من الأهمية بالنسبة للقزم، بحيث إنه كرره فيما بعد: «إذا كانت لديك أمنية من القلب مرة أخرى...» فما معنى ذلك؟ توجد كما هو واضح أمنيات قادمة من «البطن» أو من «الرأس» وأمنيات نابعة «من القلب». (وسوف نتعرف على الفارق بينهما أكثر في هذا الكتاب) دعوني ألخص العبرة الثانية من الأسطورة: حلم اليقظة لا يعمل إلاّ مع أمنيات صادرة عن القلب، الإدمان والطمع لا يستطيعان الإتيان بالمعجزات، القلب فقط يستطيع ذلك.

نأتي الآن مباشرة إلى الصيغة التخيلية للقزم بغية جعل أمنية القلب واقعاً. تحدد الخطوات بالآتي:

- ❖ كتابة الأمنية كأول خطوة نحو تحقيقها مادياً (اكتبها على قطعة خشبية).
- ❖ ثم احرقها (أشعل النار بها).
- ❖ التحرك أثناء ذلك والرقص (بينما ترقص حول النار).
- ❖ التفكير في الأمنية وعدم استبعادها من الخاطر (وتفكر في أمنيتك).
- ❖ الرقص في سعادة وامتنان (غني الكلمات).
- ❖ وتصور تحقق الأمنية (ما أجمل أنها لدي - ما أجمل أنها لدي). دعونا نفسر هذه الصيغة. وتفسيرها هو العبرة الثالثة من الأسطورة:

إنه لا يكفي التفكير فقط في أمنياتك، بل يجب كتابتها، فلم يرد في الإنجيل «في البدء كانت الفكرة» بل «في البدء كانت الكلمة». الكلمة سواء منطوقة أو مكتوبة - إنها فكرة جرى التعبير عنها، فكرة لم تبق في الرأس فقط، بل وجدت طريقها إلى التحقق.

أو لنأخذ كلمات يول برينر الهامة، عندما قال رمسيس الثاني في الفيلم التاريخي «الوصايا العشر»: «هكذا هي مكتوبة - وهكذا ينبغي أن تحدث!».

والخطوة الأولى للتحقق هي الكلمة وهي هنا كلمة مكتوبة: الأمنية التي سجلت على الورق أو قصاصة الأمنية من طفولتنا واليوم

obeikandi.com

يتحدث الكثيرون عن «بطاقة الطلبية»: إذا كان ينبغي للحياة أن تحقق لنا أمنياتنا، فيجب علينا أن نقدم طلبية واضحة وجلية، أي صياغة الأمنية كتابياً بوضوح وجلاء، إزاء الأفكار الجريئة.

وبما أن هذه الخطوة الأولى على هذه الدرجة من الأهمية، وبما أن الكثيرين قد فشلوا (فشلوا في تحقيق أمنياتهم)، لذا أود تعميق أهمية الكتابة بعض الشيء، وهي هامة أيضاً من أجل التعامل المفيد مع هذا الكتاب. تصوروا أنكم تقلبون صفحات دليل (كاتالوج) بيت تجاري لإرسال البضائع. يمكنكم أن تصيحوا غالباً بكل افتتان وإعجاب: «لكم أود الحصول على هذا!» ولكن ما دمتم لم تقدموا طلبية كتابية فلن يصلكم شيء، فكتابة طلبية بوضوح وجلاء يؤدي إلى إرسال شيء لكم، حسناً، قد يبدو ذلك مبتذلاً: «إن كل فرد يعرف ذلك» ومع ذلك فنحن نتصرف إزاء رغباتنا ولكأنه لا ضرورة للتقدم بطلبية واضحة لا لبس فيها، ولكأن صيغة الإعجاب تكفي «لكم أود الحصول على ذلك». إن كتابة أمنياتنا تشبه الطلبية المكتوبة، وتظهر وراءها طاقة أخرى تماماً، فالفكرة الغائمة تصبح كلمة واضحة وعملاً مبدعاً، ليس «لكم أود الحصول على هذا!».

وإنما «أريد الحصول على هذا الآن!» هكذا كتبت وهكذا ينبغي أن تحدث!.

نتابع هذه الفكرة بتعمق أكثر: نحن نعرف الشيء الذي لا نريده أكثر، مما نعرف الشيء الذي نتمناه حقاً (فرغباتنا هي على سبيل المثال) أن لا نقود زواجاً على طريقة الآباء، ولا نصاب بصداع بعد الآن،

ولا ندخن بعد الآن) وحتى نبقى في الصورة: وأيضاً عندما نبلِّغ المركز التجاري بكل الأشياء التي لا نريدها، فلن نحصل على أية طلبية.

قم الآن بتجربة: خذ أمنية ربما تتوق إليها منذ زمن طويل، واكتبها الآن! ولعلك سوف تقرر أن هذه الكتابة ليست على هذه الدرجة من السهولة، تصور أن «الحياة» هي «بيت تجاري لإرسال البضائع، وقد اضطررت لصياغة أمنيتك والتعبير عنها كتابياً، بحيث لا يحدث أي التباس في فهمها، بل يمكن فهمها بوضوح فعلاً، أعد صياغة الرغبة الآن إلى أن يصبح لديك شعور بأنها باتت صحيحة، سوف تقرر بمثل هذا التمرين الصغير، أنه يوجد فارق كبير، بين أن تكون الأمنية مجرد فكرة غامضة وبين تحديدها وجعلها ملموسة بواسطة الكتابة، ضع في الاعتبار هذا الفارق الآن بكل بساطة، إنه الخطوة الأولى نحو تحقيق الأمنية ولكنها ليست الأخيرة في حال من الأحوال.

ماذا نستطيع أن نتعلم من هذه المقارنة مع الطلبية المقدمة إلى البيت التجاري؟ يحتاج الأمر إلى طلبية مكتوبة بوضوح وجلاء وإيجابية لدى التعبير عنها، حتى يمكن أن تتحقق أمنياتنا، وتنص الخطوة الثانية في شعائر السحر على حرق الرغبة المكتوبة! فما معنى ذلك؟ إننا لا نحرق بطاقة الطلبية المقدمة إلى مركز البيع التجاري، بل نلقي بها (بالمعنى الحرفي أو بالمعنى المجازي) في صندوق الرسائل!.

ينبغي علينا الآن التمييز بين الأمنيات المادية والفكرية ونُعرِّف الفارق كما يلي: يمكن تحقيق الأمنيات المادية عندما يمتلك المرء المال اللازم لذلك، أما الرغبات الفكرية في المقابل فلا يمكن تحقيقها

بالمال، (أي لا يمكن للمرء أن يحققها لنفسه بالمال) فالمرء لا يستطيع أن يشتري من البيت التجاري الصحة، الحيوية، وشريك الحياة المثالي، والمهنة التي يحلم بها... المرء يتمناها حقاً وهي ليست أمنيات مادية بل أمنيات معنوية فكرية.

وبهذا المغزى فإن الرغبة في امتلاك المال هي رغبة مادية في المقام الأول، لكنها في واقع الأمر أمنية فكرية، لأني لا أستطيع شراء «المزيد من المال» فليس لذلك أي معنى، الأمنية الفكرية مختفية وراء الأمنية المادية، كما تلوح ظاهرياً، ومثال ذلك: قد أستطيع شراء ورقة يانصيب، (وهي تكلف بعض المال) ولكني لا أستطيع شراء الربح في اليانصيب، وأيضاً لا يمكنني شراء أية زيادة في الراتب، بل يجب أن أفعل شيئاً في المجال الفكري، (ومثال ذلك تقديم إنجاز قيم أو «بيع» بشكل أفضل) لكي أحصل على مزيد من المال في حسابي المصرفي، الفارق يكمن إذن في أننا نطلب الآن (في طلبية) تحقيق رغباتنا الفكرية، ومثال ذلك أنني أرغب في مقابلة شريك حياتي المثالي، من هو «المسؤول» عن تحقيق هذه الرغبة الفكرية؟ نقول ببساطة: الحياة! وكل فرد يعرف ما هي «الحياة» ، ولكن لا أحد يعرف كيف تقوم بوظيفتها وتعمل، ولا حتى البيولوجيا (وهي علم الحياة) تستطيع أن تقدم تعريفاً واضحاً «للحياة».

نحن نريد إذن تقديم طلبية للحياة، والحياة التي ينبغي لها أن تحقق الأمنية، لا تمتلك صندوقاً للرسائل إلى جانب البريد، كتب عليه «طلبيات فكرية مقدمة للحياة».

obeikandl.com

وهكذا نستطيع أن نفسر «الإحراق» كشعائر إلقاء قصاصة الأمنيات، أو بطاقة الطلبية وتقديمها إلى «الحياة».

وأيضاً يجب علينا أن نرسل أمنية إلى الحياة، ونطلقها (كما هو الشأن في صندوق الرسائل): ولنبقى مجدداً عند صورتنا، وهي صورة إرسال الطلبية إلى البيت التجاري: لعلنا ملأنا بطاقة الطلبية منذ زمن طويل، ووضعناها في مكان ما، أو حملناها معنا هنا وهناك، ولكن لا يصبح الأمر جدياً، إلا عندما نرمي بها إلى داخل صندوق الرسائل ونطلقها، عند ذلك يكون الأمر قد حدث، ولن يكون في الوسع فعل شيء عقب ذلك، ولا أحتاج سوى للانتظار واستلام الطلبية أيضاً، وهكذا نستطيع أن نفسر الإحراق في شعيرتنا السحرية، بأن الأمر بات جدياً الآن!! وأننا «رمينا» أمنيتنا الفكرية المكتوبة وأطلقناها وعهدنا بها إلى الحياة، وعند ذلك يكون الأمر قد تم وحدث.

وثمة إشارة أخرى تقدمها لنا شعيرة الإحراق: عندما يحترق شيء، فهو يتحول إلى شكل آخر من أشكال الطاقة: ألا وهو الرماد والحرارة. الإحراق هو تحويل للطاقة، ونحن نعرف أن الطاقة لا يمكن أن تضيع بل تحول نفسها فقط، وقد اختبرنا في تمريننا الصغير أن الأمنية المحددة كتابياً تمتلك «مزيداً من الطاقة» يفوق ما تمتلكه الفكرة الغائمة الغامضة، ومع إحراق بطاقة الطلبية تنتقل الأمنية إلى مجال آخر للطاقة.

وينصح القزم علاوة على ذلك بفعل أشياء تجلب السعادة أثناء هذه الشعائر، وهي الرقص والغناء، إن جسدنا بكامله يساهم في هذا

الاحتفال من أجل «استحضار الأمنية» وتحقيقها، والشعيرة المنصوح بها تشبه رقصة المطر الهندية. إذن نحدد أن الشعور بالسعادة بواسطة الرقص والغناء، هو جزء حيوي مكوّن ضمن شعائر السحر.

والكلمات التي تغنى ضمن هذه الشعائر هي الجزء الحاسم، وهي الصيغة الفعلية: ما أجمل أنها لدي - ما أجمل أنها لدي. إني أغني بسعادة غامرة لأن الأمنية تحققت، ولم يعد ثمة شك في أنها سوف تتحقق، أي يتم الغناء لتحقق الأمنية وبأنها أنجزت فعلاً، وهذه الفكرة أو هذه الصيغة على درجة من الأهمية، بحيث أني أرغب في تعميقها في المقطع التالي.

نأتي الآن إلى العبرة الرابعة من الأسطورة: يدخل الفلاح في موقف متأزم، ولذا يجرب شعائر السحر بكل بساطة، وإن كان بالكاد يستطيع تصديق ذلك، وتنجح هذه الشعائر.

ومن الواضح بالتأكيد أن الأمنية لا يمكن أن تتحقق إذا كنت لا أؤمن بها في أقل تقدير.

ولكن مع الإيمان تبرز هنا قضية! وأيضاً هنا نستطيع التعرف على إشارة عميقة المعنى داخل القصة: الفلاح ينفذ الشعيرة وإن كان لا يكاد يصدق بأنها ستنجح وإن كان لا يكاد يؤمن بها. والجهة التي لا تكاد تعتقد بتأثير هذه الأمنية هي بدهياً العقل، فالعقل البسيط لا يمكن له أن يفهم المعجزات، وهذا ما يجعل منها معجزة! إنه يحدث شيئاً يتجاوز أفق العقل، وبكلمات أخرى إن عدم التصديق إلاّ بالكاد من جانب العقل هو بالأحرى ختم بجودة الأماني. وعندما تكون ثمة شكوك لدى العقل، فالشك ليس أعجوبة، بل هو تعبير عن العقل المتشكك.

وعلى الرغم من الشك، يجرب الفلاح شعيرة الأماني ببساطة، لأنه يوجد لديه كما هو واضح جهة أقوى تحدد سلوكه في النهاية، إلى جانب عقله المتشكك، وبالنسبة لي فإن هذه الجهة هي «اليقين الداخلي» الحدسي. وهو نوع آخر من التصديق، وهو إيمان صادر عن القلب: إني أؤمن بالحياة وأؤمن أن المعجزات ممكنة، وأنا متأكد في داخل نفسي بأن سحري سوف ينجح، والعبرة الرابعة تنص في نظري على ما يلي: كن على يقين، وكن متأكداً في داخل نفسك من أن الأمنية سوف تتحقق، حتى وإن كان عقلك يشك في ذلك، فهذه هي طريقته، امكث في القلب وثق بالحياة.

تصور أنه يجب عليك وأنت تتنفس، أن تفكر مع كل نفس صاعد ماذا يحدث الآن في جسمي، أي أن تقود فكرياً مسار تزويد الجسم بالأوكسجين.

التنفس هو الحياة، ولا يكاد المرء يصدق ما يحدث في أجسامنا في ٨٠ مليار خلية مع كل نفس من الأنفاس، ومع ذلك فنحن نعيش دون أن نعرف كيف يتم ذلك ويعمل، نحن نفعل ذلك ببساطة ونتنفس بلا تفكير، وحتى إننا نستطيع النوم ونتنفس، الحياة هي معجزة لا ضرورة لفهمها حتى نتمكن من الحياة.

توسلوا من أجل ما تريدون...

نعود مرة أخرى إلى صيغة الأمنية: «ما أجمل أن لدي ذلك - ما أجمل أن لدي ذلك!».

والشيء الحاسم في هذه الصيغة هي السعادة في لحظة الإعراب عن الأمنية وفي لحظة التوجه بالطلب؛ لأن هذه السعادة تعبر عن ثقتي التي لا تتزعزع وعن يقيني الداخلي وإيماني بأن أمنيتي سوف تتحقق أو بمعنى أنها قد تحققت فعلاً. ونحن نعرف هذا الشعور من السعادة أيضاً بالتأكيد عندما نلقي بطاقة الطلبية في صندوق البريد. ولسنا في حاجة لأن نفكر أدنى تفكير فيما سيحدث لهذه البطاقة الآن، ولسنا مضطرين لمعرفة طرق نقل البريد ولا لمعرفة (لوجيستيك) البيت التجاري، لسنا في حاجة لفعل شيء، ولا للاتصال هاتفياً بأية جهة لمعرفة هل وصلت البطاقة أم لم تصل، وماذا سيحدث للطلبية -أو أي شيء آخر، نحن في حاجة للانتظار فقط، فكل شيء يجب فعله من جانبنا قد حدث، والمسألة هي مسألة وقت فقط إلى أن نستلم الطلبية بأيدينا -ولذا هذه السعادة عند إلقاء البطاقة، ولكأن ما طلبناه قد بات في أيدينا.

ونحن نحتاج إلى مثل هذه السعادة تماماً لدى تقديم طلبيات فكرية «إلى الحياة» أيضاً وهي تعبير عن أننا نثق بالحياة، وأنه ليس علينا أن نفعل شيئاً، ولا ضرورة لنا للتدخل بعد الآن: فأنا لا أعرف كيف ستعمل الحياة وتؤدي وظيفتها تماماً، ولا حاجة لي لأن أعرف، بل أؤمن بأن الحياة ستفعل ذلك، وهي مسألة وقت فقط إلى أن يسمح لي بتلقي ما طلبته، وعلى سبيل المثال شريك حياتي المثالي أو شريكة حياتي المثالية، «كهدية من الحياة».

وبالنسبة إلى الطلبية المادية، لدي الثمن المقابل وهو المال لدفع فاتورة الحساب، وأيضاً بالنسبة إلى الطلبية الفكرية أحتاج إلى القيمة

المقابلة، حتى يمكن أن تنجح هذه الطلبية: ألا وهي الإيمان بالحياة والسعادة «بأني أمتلكها»، هنا نستبدل المال لقاء البضاعة وهناك نستبدل الإيمان/ السعادة لقاء تحقيق الأمنية.

قد يبدو ذلك غريباً وغير مألوف، لكن الأمر في غاية البساطة من حيث الأساس، إذا لم يكن لدى المرء المال لدفع ثمن البضاعة المطلوبة. (مثلاً الدفع بشيك من غير رصيد) فيجب على المرء إعادة البضاعة ودفع غرامة، وإذا كان المرء لا يؤمن بأمنياته فلا يمكن لها أن تتحقق أو إنها تتلاشى منا من جديد.

سوف نأتي في هذا الكتاب للحديث بالتفصيل عن الفارق الأساسي، بين التعامل الناجح وغير الناجح مع الأمنيات وسندخل في التفاصيل أكثر، وسنتعرف على الفارق بين جذب الأحلام أو طردها، وسنتعرف على أن الأمنيات الصادرة عن وعي ناقص (لكم أتمنى...) لا يمكن أن تتحقق، فالوعي الكامل (أنا أمتلك...!) هو بمفرده الذي يحقق الأمنية، كل هذه الطاقات ومضامين الوعي تعبر عنها بوضوح صيغتنا السحرية: أن يكون المرء متأكداً في داخله في لحظة الإعراب عن الأمنية: «ما أجمل أنها لدي» وعندما لا نمتلك هذا الوعي فنحن لا نمتلك الحاضر كما يقال بغية التمكن من تمني شيء وطلبه بنجاح.

وأود أن ألفت النظر بهذا الصدد إلى اقتباس من الإنجيل ولعله معروف لكم أيضاً، وربما تكونوا قد تعثرتم أيضاً بهذه الكلمات كما تعثرت أنا في وقت سابق. فقد جاء في إنجيل مرقص (١١/٢٤): «توسلوا من أجل ما تريدون، آمنوا فقط أنكم قد حصلتم عليه وسوف يصبح لكم».

تبدو هذه الجملة غريبة حقاً! أينبغي علي أن أتوسل من أجل شيء قد حصلت عليه؟ وهي تقول بدقة: ينبغي علي أن أتوسل من أجل شيء، أؤمن أن قد حصلت عليه فعلاً. في واقع الأمر هذا هو تربيع الدائرة بالأحرى! هل أمتلكه؟ أو أعتقد ذلك فقط مجرد اعتقاد؟ ولماذا أتوسل إذن من أجله؟

لأول مرة بعد أن أتحرر من المنطق البسيط ذي البعد الواحد، يصبح لهذه الجملة من الإنجيل معنى، وأكثر من ذلك، إنها تشبه بطريقة مدهشة الصيغة التخيلية لأسطورتنا، التي تبدو طفولية ظاهرياً فقط، فالرسالة متماثلة تماماً! «سوف تصبح لكم» يعني أنها سوف تتحقق، ولكن تحت شرط واحد فقط: إذا كنت تؤمن لدى تحقق الأمنية بأنك تمتلكها فعلاً، وعند ذلك يسمح لك أيضاً بأن ترجو الحصول على ما تريد وتطلب ما تشاء دائماً، إن عقلنا يفكر ضمن بُعد واحد، وبعقلانية وبتوجه نحو الوقائع بشكل مبالغ فيه، ولديه دائماً شيء يشكك فيه وينتقده ويرتاب فيه، وحتى لا نفهم بعضنا فهماً خاطئاً أقول: هذه هي وظيفته تماماً! وإذا كنا سنعيش انطلاقاً من عقل متشكك فقط، فيمكن لنا بسهولة أن نيأس من الحياة، وترشدنا الجملة المقتبسة من الإنجيل - هنا بشكل أقوى من الأسطورة- إلى أن الاعتقاد والإيمان جزء من وعينا المتكامل الموسع، ومثل هذا التفكير فقط، الذي يدمج فيه الإيمان، «كيقين داخلي» والحدس «كحكمة عليا»، هو القادر فقط على أن يأتي بالأمنيات إلى الطريق الذي يؤدي إلى تحققها بالضرورة. وعلاوة على ذلك، ليس أمام الحياة من خيار آخر سوى أن ترسل «الطلبية الصحيحة» لنا.

وعندما نفهم برأسنا وقلبنا هذه الآلية لتحقق الأمنية، فسوف ندرك، أية قوة غير محدودة وضعتها الحياة تحت تصرفنا في واقع الأمر، ولكن يجب علينا التعرف على هذه القوة أيضاً، وأن نستخدمها بالمعنى الإيجابي.

هل يمكن أن تتحقق جميع الأمنيات؟

لو أننا سألنا إذاعة إيرفان عن ذلك، لكان الجواب بالتأكيد: «من حيث المبدأ نعم، ولكن..»

وتوضح كلمة «لكن» هنا قولاً إسبانياً مأثوراً بطريقة عميقة المعنى: «قال الرب: افعل ما شئت ولكن ادفع الثمن لقاء ذلك» وبكلمات أخرى: لدينا إرادة حرة في أن نتمنى كل ما نريد ولكن غالباً ما يكون تحقيق الأمنية عقوبة أكثر مما هو سعادة، ويأتي كل شيء «مختلفاً» عما يفكر فيه المرء».

أولاً إنه لا يوجد أحد يملي علينا ما هو مسموح وما هو ممنوع من الأمنيات، ولكن يجب علينا أن نتحمل بأنفسنا أيضاً عواقب تحقق الأمنيات، أية رغبات يمكن لها أن تسير نحو التحقق في النهاية؟ إن ذلك يرتبط بالتأكيد بالأخلاق وشؤون القلب، وأود هنا الإشارة الآن إلى كلمات الإنجيل فقط: «لتحدث مشيئتك وليس مشيئتي!» إن الآلية المحركة هي آلية حكيمة جداً، إننا نحتاج تجاه هذا العقل المنطقي ذا البعد الواحد، إلى وعي متكامل وموسع ذي أبعاد مضاعفة، حتى نتمكن من التعرف أصلاً على قوانين تحقق الأمنية، وقبل أن نتوصل إلى هذا الوعي، وإذا أصررنا على البقاء في العقل المنطقي المحض،

فنحن ما نزال صماً وعمياناً إزاء سحر تحقق الأمنية الفكرية المعنوية، وتبدو لنا مثل هذه الكلمات مثل أقوال السحر الضبابية، أو حتى خدعة ديماغوجية أو من أفخاخ الفلاحين. إن من يبدو له الأمر على هذا النحو فهو ما يزال غير ناضج للتمكن من التعامل بمسؤولية مع هذه الأداة المفعمة بالقوة! ويمكن القول إنها آلية حماية، وبالتأكيد إنه أمر منطقي حقاً بالنسبة إلى العقل: كيف ينبغي أن يتمكن شخص من اجتراح معجزة عندما لا يؤمن بالمعجزات من أعماق قلبه؟ هذا الأمر لا يمكن أن ينجح بكل بساطة.

وعلاوة على ذلك يختفي داخله سر الأسطورة: إنه بالنسبة إلى إنسان يلتقط الأسطورة بالعقل المنطقي المحض، تعتبر الأسطورة مجرد قصص غير عقلانية، ومجرد خرداوات طفولية، وفي الوعي المتكامل الموسع الذي نحن قادرون به على تأويل كل كلمة وكل صورة من الأسطورة تتفتح أمامنا داخل الأسطورة غرفة كنوز حقيقية من الحكمة، إنها فلسفة حياة عملية، وهي كل شيء آخر باستثناء خرداوات الأطفال، إنها حكمة الروح، وقد وجد المدخل لها الأطفال والكبار والفنانون والسحرة أو المحبون، ولكن لم يجد مدخلاً لها أي راشد له توجه عقلاني فحسب، أو أي إنسان يفكر بعقله المحض.

إنه السر ذاته لكل سحر: فكل من هو ناضج من خلال وعي متكامل وموسع يدرك السحر ويستطيع أن يتعامل معه بمسؤولية أخلاقية، وضمن هذا الوعي الذي يدرك مغزى السحر، لم نعد نركز على ذاتنا فالذي يركز على ذاته لا يهتم سوى بالأنا الخاصة وسعادتها،

وهكذا فلن نتمنى شيئاً يسيء إلى الآخرين، ولن نتمنى شيئاً يقع خارج كل حقيقة ماثلة (ومثال ذلك أن تنمو لنا أجنحة ونتمكن من الطيران). وسوف لن نتمنى شيئاً غريباً عنا ولا يلائمنا بكل بساطة، إنها لم تعد أمنيات تجرح أحداً أو تسعى للقوة الجبارة أو تنبع عن الأنا النرجسية.

إنها رغبات ناضجة «رفيعة»، تمثل حقاً تحديات شخصية، لكنها إجمالاً صحيحة وملائمة بالنسبة لي وللناس من حولي.

ولنقل ذلك على النحو التالي: إن كل أمنيات قلبنا يمكن أن تتحقق، لأن قلبنا لا يتمنى إلا ما هو ملائم لنفسي وللآخرين ومن أجل خير الجميع.

إذن إن السؤال: «هل يمكن لجميع الأمنيات أن تتحقق؟» لا يطرحه سوى العقل، إنه سؤال أكاديمي وفلسفي وفكري، وهو غير هام بالنسبة للحياة الواقعية، والقلب لا يطرح على نفسه هذا السؤال أبداً، إنه يتمنى فقط ما هو ملائم فعلاً للجميع وبذلك يجعل تحقيق الأمنية سهلاً تماماً.

ونحن بذلك داخل موضوع الكتاب منذ فترة طويلة: اكتشف نفسك من جديد! الأمر يدور الآن حول المزيد ويتجاوز تلبية الأمنيات الإفرادية.

كيف تتابع الأمور سيرها؟

إن من يريد أن يكتشف نفسه من جديد فعليه أن ينبذ الماضي ويصوغ نفسه وحياته من جديد لفترة زمنية أطول، ولعلك تعيش الآن مباشرة خيبة أمل خاصة كبرى، وتواجه الانفصال عن شريك حياتك

لسنوات طويلة، ولعلك تعيش أزمة مهنية، وتعد نفسك لبدء مهنة جديدة، وربما يكون جزء طويل من حياتك قد أنجز بكل بساطة.

والسؤال المطروح في كل حالة: كيف تتابع الأمور سيرها؟ أرغب في أن أدعوك للإجابة على هذا السؤال، ليس بالعقل ولكن من القلب.

لقد لعبت في الماضي أدواراً معينة وفق سيناريو محدد، والآن ينبغي كتابة سيناريو جديد لمقطع الحياة القادم، وتوزيع الأدوار من جديد وتحديدها من جديد، وأنت تمتلك الاختيار، وأنت تستطيع أن تقرر أي طريق تريد أن تسلكه الآن.

وأود أن أدعوك لصياغة السيناريو الجديد صياغة أسطورية حقاً، أنت تقرر بنفسك الآن فيما إذا كان السيناريو سيصبح مأساة أو ملهاة أو أسطورة ساحرة! وبالطبع يطرح هنا السؤال: ما مدى حريتنا لدى صياغة السيناريو والأدوار؟ هل نستطيع أن نبتدع أنفسنا من جديد كما نشاء؟ (تذكر المقطع الأخير من هذا الاستهلال).

لنقم الآن بلعبة فكرية في هدوء، كبرهان على شرب الكأس حتى الثمالة، هل أستطيع أن أبتدع نفسي الآن «كسوبرمان» أو «باتمان» وأحلق في الأجواء بعباءة متطايرة، وأحمي الخير وأقضي على الشر؟ هل أستطيع أن أبتدع نفسي من جديد لمثل هذه الشخصية؟ واضح أن ذلك سيكون أكثر إثارة، ويدر مالاً وفيراً من الأوهام السحرية لدافيد كوبر فيلد! ولكن هل تريد حقاً أن تعيش مثل هذه الشخصية؟ وهل ستكون حقاً رغبة من القلب أم مجرد ولادة من الرأس ووهم من الأوهام؟

والمفتاح يوجد -كما هو غالباً- في اللغة نفسها: ابتدع نفسك من

جديد! وهو المطلب بإيجاد نفسك أخيراً! (أين وكيف تستطيع أن تجد نفسك؟ سنعالج ذلك مباشرة في الفصل الأول)، وبكلمات أخرى: كن أنت ذاتك! وسر في طريقك! وعش من وسطيتك ومن قلبك، افعل فقط ما يعود بالخير عليك ودع نفسك تنقاد فقط من السعادة والحظ، سوف تقرر - بعد فترة انتقالية معينة، وفترة زمنية معينة للاعتياد- إن مثل هذه الحياة المصاغة على هذا الشكل هي أسطورية في الواقع وأنا أدعوك لذلك! افعل ذلك مثل الفلاح: وجربه ببساطة! وقد يكون الكتاب توجيهات لك لتكتب سيناريو جديد لحياتك، وتعيش وفق ذلك، القلب قادر على اجتراح المعجزات، فكن مستعداً لذلك.

obeikandl.com